من الحقائق المجمع عليها فلسفيا في علوم اللسانيات وفلسفة العقل واللغة والمعنى, هي أن الفكر واللغة لفظتان متداخلتان للدلالة عن معنى واحد, وهما وجهان لعملة واحدة في التعبير الدارج. بمعنى واضح لا يمكن التفكير من غير لغة, ولا يمكن تعبير الفكر عن شيء من غير تأطير اللغة لذلك التعبير الفكري.

وعلاقة الفكر باللغة هي علاقة الشكل بالمحتوى.عليه نجد دي سوسير يؤكد هذه الحقيقة لكن بمتوالية من التناقضات وردت نقلا على لسان الباحث اللغوي وعلى ذمته في الترجمة (الامينة) للمصدر الاجنبي الذي أعتمده.

يقول دي سوسير (اللغة سابقة على الفكر, بل هي تستوعبه وتحتويه كما يحتوي الكوب الماء, ولا يوجد شيء خارج اللغة, فحقيقة الفكر ليست مادية, وتصوراتنا ومفاهيمنا تكمن في البنية اللغوية , ويستحيل فصل الصوت عن اللغة, أو فصل الفكر عن الصوت)3

نجمل تعقيبنا النقدي الاولي التوضيحي السريع بالتالي:

1. كما يعّبر دي سوسير أن اللغة تسبق الفكر نقول ولماذا لا يسبق الفكر اللغة طالما هما تعبيران لدلالة واحدة متداخلة لا يمكن الفصل الاعتسافي بينهما في الاسبقية التراتبية الادراكية.؟ ولم يوضح سوسير متى وكيف تكون اللغة سابقة على الفكر؟ كما سنوضحه لاحقا في حال تسليمنا بصحة ما ذهب له سوسير في مقولته اللغة تسبق الفكر. وهل توجد تراتيبية في الاسبقية بين الفكر واللغة وكيف نفهمها؟

2. قول دي سوسير(لا شيء خارج اللغة) مقولة مثالية خاطئة أصبحت فقرة مقدسة في البنيوية والتفكيكية والتحليلية المنطقية الحديثة وجميع التيارات الفلسفية المثالية المتعالقة في التعايش اللغوي المشترك بينهم., وسنأتي على توضيح ما تحمله العبارة من تناقض. وقول سوسير (حقيقة الفكر ليست مادية تحمل في أحشائها بطلانها نناقشه لاحقا أيضا.)

3. قول دي سوسير (يستحيل فصل الصوت عن اللغة, أو فصل الصوت عن

الفكر) هو أفتراض تعبيري مطعون بصوابه الواقعي الحقيقي سلفا, فاذا كان الصوت قرين اللغة فالصوت ليس قرين الفكر , الفكر تعبيره الصوتي هو اللغة المنطوقة وبغير اللغة كأصوات تعبيرية يبقى الفكرالملازم لها حبيس الصمت غير الصائت والمنطوق الذي هو خاصية اللغة وليس خاصية الفكر.

تعقيب ختامي عام

من حيث التعميم المنطلق من حقيقة الفكر هو اللغة تصبح مقارنة التفريق بينهما في الاسبقية الفلسفية غير واردة. اللغة سابقة على الفكركما اشار له دي سوسير, أذن هما دلالة لمعنى واحد ولا يمكن الفصل بينهما فاللغة شكل والفكر مضمون للتعبير عن شيء واحد كمثل كوب الماء الذي اورده سوسير.

لكن متى يمكن أباحة التفريق بين الفكروالغة ومقارنة الاسبقية(المشروطة) بينهما؟ هذا التفريق بين الفكر واللغة قد يرد مباحا في حال مقتضيات الدراسات اللغوية الفلسفية, أما التراتيبية بين أسبقية اللغة على الفكر أو بالعكس فنجدها حين تكون اللغة سابقة على الفكر في التعبير لغويا عن مدركات الاشياء في العالم الخارجي خارج الذهن, فهنا يمكن جواز أسبقية اللغة على الفكر كون اللغة هي (شكل) التعبير عن الفكر(المحتوى) المعبّر به لغويا عن الاشياء.

أما أذا أردنا أن يكون الفكر سابقا على اللغة فهذا يتم ويكون في تفكير العقل الصامت داخليا في موضوعات لا يحتاج التعبير عنها خارجيا بلغة قبل تأملها اللغوي التجريدي الصامت بالذهن. الفكر داخل الذهن لا يحتاج لغة تعبيرخارجية بل يحتاج لغة تفكيرتجريدي صورية صامتة داخليا. والصمت لغة صورية في تمثلات الذهن للاشياء من غير التعبير عنها بالكلام أو اللغة المكتوبة. بقي القول أن لغة تفكيرالعقل التجريدي في الصمت الداخلي وفي تعبيرالافصاح اللغوي عن الموجودات الخارجية أو في الكلام, هي لغة تفكيرصورية واحدة للعقل.

وقول دي سوسير (لاشيء خارج اللغة)التي أخذها عنه ميرلوبونتي (لا شيء

خارج الكلمات) وأخذها رولان بارت بنيويا (لاشيء خارج النص) ليستنسخها دريدا قوله (لا شيء خارج اللغة) وهكذا حتى نصل الى فذلكة لغوية لاشيء خارج لا شيء. ولا لغة خارج اللغة وهكذا تحل أمور الحياة باللاشيء.

هذه التنويعات اللغوية في التعبير على فكرة واحدة غير دقيقة ولا صحيحة, فالاشياء والموجودات ومفردات العالم الخارجي هي موجودات مادية توجد بأستقلالية تامة عن أي شكل من اشكال التعبير الادراكي عنها منها أدراك تعبير اللغة, فكما أن وجود الاشياء باستقلالية غير مرتبط بادراكها فهي موجودة سواء أدركناها أو لم ندركها, كذلك يكون شرط وجود الاشياء مستقلة في عالم الاشياء خارجيا ليس مرهونا بتعبير اللغة عنها أو لا تعبيرها عنها. الوجود المادي المستقل للاشياء لا يحدده الادراك العقلي لها من عدم الادراك, كما لا يحدده التعبير اللغوي عنها من عدم التعبير.

نأتي الى قول دي سوسير (اللغة ليست مادية) فاللغة تجريد ذهني تعبّر عن الاشياء المادية مثل نفس تعبيرها عن الاشياء المثالية الخيالية. فموضوع التفكير بالذهن ومنهجيته هو الذي يحدد ماهية اللغة مادية أم لا مادية, واللغة كتجريد تعبيري تعبر عن المادة كصفات مدركة خارجيا لكنها لا تستطيع منح الاشياء ما هياتها المادية, اللغة لا تخلق مادية الاشياء كماهيات في التعبير عنها. لكنها أي اللغة تخلع توصيفات الفكر المادي على الاشياء تجريديا فقط. واللغة تبقى في جوهرها تجريد تعبيري عن كل الاشياء المادية والخيالية لكنها تعجز منح تلك الاشياء (ماهيتها) المادية عن غير المادية كجواهر وموجودات مستقلة بذاتها لا ترتبط كيفيا بكيفية تعبير اللغة وطبيعتها التجريدية عنها.

أما قول دي سوسير (يستحيل فصل الصوت عن اللغة)فهو تعبير مزدوج من ناحية حمولة الصح والخطأ فيه. فهو صحيح أذا ما أعتبرنا اللغة هي فكر تعبيري (صوتي) عن مدركات خارجية فيكون الحال معنا, أن الفكر الذي هو لغة تعبيرمدركاته, لا يمكننا أدراكه في عالم الاشياء الخارجية بدون دلالة اللغة الصوتية. ويكون عدم أمكانية فصل الصوت عن اللغة حسب سوسير ليس نابعا من طبيعتها الاجناسية كلغة بل من خاصيتها الوظائفية في التعبير عن الاشياء

فهنا نجد أن الصمت الفكري لا يحتاج لغة صوتية في التعبير عنه لأنه ليس بكلام يراد نقله الى متلقي كما هو ليس بكلام لغوي مطلوب أستقباله سماعا خارج تفكير الذهن به.